الخطاب الدعوي للشيخ عبد الحميد كشك: دراسة تحليلية

نوح الأول جنيد

المقدمة:

لقد أصبح النص والخطاب من الظواهر اللغوية التي تدرس اليوم لدى العلماء النصيين والخطابيّين المعاصرين لما لهما من قيمة اتصالية مثيرة وإخبارية محرّكة، فيرى النصيون أن عناصر اللغة الوظيفية والبراغماتية تتضح فيهما أكثر من غيرهما. يحاول المقال دراسة خطاب الشيخ عبد الحميد كشك الدعوي الجمهوري المنطوق الذي عنوانه "ماذا جنى المسلمون من العلمانية" دراسة تحليلية تتجلى بها عناصر خطابية اعتمدها الشيخ لتحقيق أهدافه ومقاصده الخطابية، ويبصّر بجوانب شخصيته وأبعاد نظره للعالم الإسلامي. يبين المقال إضافة إلى ما سبق ذكره مقومات الخطاب الأساسية وأهم مظاهره التي تميز بها الخطاب عن غيره، متسلّحا بما طورته مناهج لسانية حديثة في تحليل الخطاب اللساني والوظيفية والبراغماتية ونظرية السياق واللسانيات الاجتماعية.

مفهوم الخطاب والنص من منظور لسانيات النص:

قبل الخوض في تحليل خطاب الشيخ نرى من الجدارة تقديم معلومات يسيرة عن الخطاب والنص نظراً لبعض التداخلات الملحوظة حول مفهومهما في الدرس النقدي الحديث. إن لفظ "الخطاب" أحد مصدري فعل "خاطب": مخاطبة وخطاب، ويدل على توجيه الكلام لمن يفهم أو مراجعة الكلام[١]، ويأتي بمعنى الحديث والقول. وورد اللفظ في تعريفات المعاجم المتخصصة المعاصرة على أنه: (أ) إيصال المعنى إلى السامع عن طريق الكلام، (ب) ما يعالج موضوعا شفويا أو تحريريا بشيء من التفصيل،

١- ابن منظور، **لسان العرب**، مادة: خطب.

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

(ج) الكلام المنطوق عندما يتجاوز الجملة الواحدة طولا. ويدل الخطاب في عُرف الأصوليين على ما خوطب به، على أنه الكلام اللفظي أو النفسي الموجّه نحو الغير للإفهام[٢]. ويُعد في الدراسات الحديثة عملية اتصال تتم في دائرتين: فقد يكون ـ في دائرة لغوية ـ مركبة من الجمل المكتوبة أو المنطوقة، ينتجها مرسل واحدا أو عدة مخاطبين كما يحدث في الحوار أو غيره، ويشمل ـ في غير لغوية ـ العادات والأعراف والتقاليد والأخلاق، ويعتبر حدثا كلاميا يتألف من عدة عناصر هي: المرسل، والمستقبل أو الجمهور، والرسالة أو الموضوع، والهدف، ويؤثر الهدف تأثيرا جليا في إستراتيجية المرسل فيملي عليه اختيارات معينة من بين البدائل التي يتيحها له النظام اللغوي، وقد يؤثر في صورة الحديث وطريقة بنائه، وهو يفسر الكثير من المتغيرات الأسلوبية التي ترافق عملية التعبير اللغوي فيما يراه هايمز[٣].

ويُعرّف النص بأنه كل خطاب مثبت بواسطة الكتابة[٤]، وأنه يأخذ أشكالاً متوالية خطية ذات علاقة مرئية على الورق[٥]، وحدة دلالية تحكمها وظيفة تواصلية وليس وحدة نحوية كالجمل، وهو تبادل المعنى بين المشاركين في الحديث مثل الحوار، وباختصار وحدة لغوية في طور الاستعمال[٦]، وهو سلسلة من العلامات المنتظمة في نسق من العلاقات تُنتج معنى كليا يحمل رسالة[٧]، وسيلة من وسائل حمل الأنشطة الإنسانية، ونقل الأفكار والمفاهيم إلى الآخرين، وأنه ليس هدفا في حد ذاته، وإنما هو طريق للخطاب والتواصل[٨]، شكل مغلق له بداية ونهاية: توافر فيه مجموعة من العلاقات التي تساعد على ربط

٢- ورد هذا التعريف في **كليات الكفوي** موافقا لتعريف الغزالي في **المستصفى**، وانظر: أبو البقاء أيوب موسى الحسيني الكفوي، **الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، تحقيق: عدنان درويش محمد المصري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ط ١، ١٩٩٢م، ص ١٩٤، وانظر: حجة الإسلام أبو حامد محمد الغزالي، **المستصفى في علم الأصول**، مطبعة مصطفى محمد، ١٩٣٧م، ص ٦٤.

٣- نقلا عن سعيد يقطين، **انفتاح النص الروائي**، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٩م، ص ٩.

٤- تعريف منسوب إلى بول ريكور، انظر: فضل صلاح، **بلاغة الخطاب وعلم النص**، سلسلة أدبيات، مكتبة لبنان، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ٢٩٧.

٥- تعريف منسوب إلى شورت وليتش (M.H. Short & Leech, G.N.)، وانظر: سعيد يقطين، **انفتاح النص الروائي**، ص ١٢.

٦- Halliday M.A.K. & Ruqaiya Hasan, *Language Context and Text: Aspects of Language in Social Semiotic Perspective*, Oxford University Press, p- 37.

٧- Fowler, O.R, *Linguistics and the Novel*, (London, First Edition, 1985), p- 45.

٨- انظر: بوجراند روبرت دي، **النص والخطاب والإجراء**، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٦، وانظر: أحمد عفيفي، **نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي**، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٢٠.

أجزائه بعضها ببعض[٩]، ذلك الشيء الذي يتحقق لدى القارئ من تفاعله بالعلامات التي يتألف منها المنطوق الإبداعي[١٠]، وهو عملية يخلقها القارئ[١١].

وإنما السبب في طرح مفاهيم النص والخطاب في هذا المقال يرجع إلى الاختلافات والملابسات الملحوظة حول مدلولات المصطلحين واستخدامهما، وتعدد وجهات النظر فيهما، ونلاحظ أن بعض الدارسين يرون أنه لا توجد فروق بينهما، ويرى آخرون أن النص غير الخطاب، ونحن نرى أنه لا داعي لهذا الخلاف لأن العلاقة بينهما علاقة جزئية وكلية، فالنص خطاب بمعنى أنه جسد له، والخطاب نص بمعنى أنه روح النص.

مفهوم الخطاب الدعوي المنطوق:

وفي معرض كلامه عن الفرق بين الخطاب المكتوب والمنطوق ذكر محمود عكاشة[١٢] أن الخطاب المنطوق يعتبر من الخطابات الجماهيرية التي تخاطب الجمهور مخاطبة تفاعلية، ويعتمد على السياق المباشر (Immediate context) الذي يتجه نحو الجمهور مباشرة، ويتميز بأدوات هي: **أ ـ** استخدام العناصر فوق التركيبية (Paralinguistic elements) مثل التنغيم والوقفات، وطبقة الصوت، والإيقاعات. **ب ـ** استخدام مفردات سهلة مفهومة تمثل عاملا مشتركا بين المرسل والمتلقي، واقتراب لغة الخطاب من لغة الخطاب اليومي مما يسهل عملية الفهم وتحقيق تأثير أقوى في جماهير الشعب. **ج ـ** استخدام الحركات الجسمية والإشارية، والتأثر بردود الأفعال المباشرة، ومراقبة الخطيب للجمهور وسلوكه وتكييفه الخطاب ونحو ذلك. **د ـ** الاستغراق أو الانغماس في التجربة والوصف والتصويرية مباشرة بين المرسل والجمهور لتحقيق الحيوية والتفاعل. **هـ ـ** وإقناعية استخدام التكرار لأداء أغراض بلاغية وقناعية واستمرار عملية الاتصال. **و ـ** التفاعل مع المحيط الخارجي وارتباط الخطاب به من حيث تضمنه إشارات وظروف وضمائر تحيل إلى العالم الخارجي. **ز ـ** وجود المحذوفات والفراغات في الجمل لاستعانة المتكلم بالحركات والإشارات إلى العالم الخارجي. **ح ـ** استخدام الصفات والتعليقات التي تصاحب الألفاظ والعبارات.

٩- انظر: عبد الملك المرتاض، **النص الأدبي من أين وإلى أين**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط١، ١٩٨٣م، ص١٨.

١٠- رولان بارت، **درس السيميولوجيا**، تحقيق: عبد السلام بن عبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى.

١١- المرجع السابق، ص ١٧.

١٢- محمود عكاشة، **لغة الخطاب السياسي: دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال**، دار النشر للجامعات، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ٢٣٣-٢٤٦.

ط ـ الإطناب في الكلام والاسترسال وتنوع الموضوعات، ي ـ استخدام شكل الحوار من افتراض الأسئلة والإجابة عنها.

أما خطاب الشيخ عبد الحميد كشك فقد تم تصنيفه تحت الخُطب الدعوية والجمهورية المنطوقة، ذلك أنه يتم سبكه وحبكه لتحقيق الأهداف الدينية الدعوية، ويلقى على الجمهور من المسلمين بشكل مباشر تلقائي، واجتمع في الخطاب كل السمات والخصائص التي وردت في بيان عكاشة السابق ذكره، يعتمد الشيخ فيه على خلفياته الدينية الواسعة والمعلومات المعرفية الموسوعية عن العالم الواقعي أثناء الأداء، ويستعين بعناصر وأدوات صوتية مثل تنغيم ونبر مقاطع بعض الكلمات وتغيير في طبقات الصوت وصفاته وقوته مما تحدد المقاصد من إلقائه. ويتميز خطابه عن غيره من الخطابات المنطوقة من حيث الأغراض والأهداف الدينية التي يريد تحقيقها.

عناصر تحليل الخطاب:

يعتبر الخطاب شفرة تم عقدها من قبل منتجه المشفر لما يتضمنه من المعلومات وأصبح الخطاب داعيا إلى متلق متأمل يفكك شفرته أو محلل ملهم يحلل عقدته ويجلي معالمه. وتعتمد عملية تحليل الخطاب على تحديد مقومات هي:

- المخاطِب (مرسل أو مبدع الخطاب).
- المخاطَب (المتلقي أو السامع).
- رسالة الخطاب ومقاصده.
- روابط الخطاب وتماسك الأبنية المكوّنة له (الاتساق والانسجام وغيرهما).
- درجة اتصال الخطاب.
- تجريد المعلومات المتصلة باختيار الألفاظ والتراكيب والمعلومات المكونة للخطاب.
- السياق وتحولات الزمن والمكان والدلالات فيهما.

تحليل خطاب الشيخ كشك:

منتج الخطاب:

ومما يساعد المحلل على تحديد مقصودية مرسل الخطاب (أو النص) والسياق الذي يلقي فيه خطابه ـمعرفة مرسل الخطاب وجوانب حياته مما يشكّل حيثياته وخلفياته العلمية والفكرية والاجتماعية والإنسانية، وكذلك معرفة الزمن (أو العصر) الذي عاش فيه وتفاعل معه. ويُستحسن في هذا المنحى من المقال تقديم نبذة وجيزة عن سيرة الشيخ عبد الحميد كشك.

نبذة عن سيرة الشيخ ومراحل حياته:

يعدّ الشيخ عبد الحميد كشك من أكثر الدعاة والخطباء شعبية في الربع الأخير من القرن العشرين، وقد وصلت شعبيته إلى درجة أن المسجد الذي كان يخطب فيه خطب الجمعة حمل اسمه، وكذلك الشارع الذي كان يقطن فيه بحي حدائق القبة، ودخلت الشرائط التي سجّل عليها خطبه العديد من بيوت المسلمين في مصر والعالم العربي، وتتحلى بها ـ حديثا ـ مواقع عنكبوتية مختلفة(١٣).

ولد الشيخ عبد الحميد كشك بمصر عام ١٩٣٣م في قرية شبراخيت من أعمال محافظة البحيرة بجمهورية مصر العربية. وقيل أنه فقد نعمة البصر بسبب المرض. وأسرته فقيرة وكان أبوه بالإسكندرية، حفظ القرآن الكريم وهو دون الثامنة من العمر، وحصل على الشهادة الابتدائية، ثم على الشهادة الثانوية الأزهرية بتفوق لائق، والتحق بكلية أصول الدين حيث حصل على شهادتها بتفوق مستحق(١٤).

عُين الشيخ في أوائل الستينيات من القرن العشرين خطيبا في مسجد الطيبي التابع لوزارة الأوقاف بحي السيدة بالقاهرة ومثّل الأزهر في عيده العام سنة ١٩٦١م، وفي عام ١٩٦٤م صدر قرار بتعيينه إماما لمسجد "عين الحياة" بشارع مصر والسودان في منطقة دير الملاك ثم تعرض للاعتقال عام ١٩٦٦م خلال محنة الإسلاميين في ذلك الوقت في عهد الرئيس جمال عبد الناصر. وقد أودع سجن القلعة ثم نُقل بعد ذلك إلى سجن "طرة" وأطلق سراحه عام ١٩٦٨م. وقد تعرض لتعذيب وحشي في هذه الأثناء واحتفظ رغم ذلك بوظيفته إماما لمسجد عين الحياة(١٥).

وفي عام ١٩٧٢م بدأ يكثف خطبه وزادت شهرته بصورة واسعة وكان يحضر الصلاة معه حشود هائلة من المصلين. ومنذ عام ١٩٧٦م بدأ الاصطدام بالسلطة وخاصة بعد معاهدة "كامب ديفيد" حيث اتهم الحكومة بالخيانة للإسلام وأخذ يستعرض صور الفساد في مصر من الناحية الاجتماعية والفنية والحياة العامة. وقد ألقي القبض عليه في عام ١٩٨١م مع عدد من المعارضين السياسيين ضمن قرارات

١٣- انظر: سيرة الشيخ ومعلومات عن حياته، على الموقع:
http://www.islamway.com/?iw_s=Scholar&iw_a=info&scholar_id=39 تم الحصول عليه الساعة ٤:٠٤ صباحا، يوم الأربعاء، السنة ٢٠٠٩م.

١٤- المرجع السابق، وانظر كذلك: ويكيبديا عن حياة كشك، عبد الحميد كشك /http://ar.wikipedia.org/wiki، تم زيارة الموقع: ٢٥-٠٦-٢٠١٠، الساعة: ٠٦:٤٧ A.M.

١٥- المرجع السابق: سيرة الشيخ ومعلومات عن حياته.

سبتمبر الشهيرة للرئيس المصري محمد أنور السادات، وقد أُفرج عنه عام ١٩٨٢م ولم يعد إلى مسجده الذي مُنع منه كما مُنع من الخطابة أو إلقاء الدروس(١٦).

رفض الشيخ عبد الحميد كشك مغادرة مصر إلى أي من البلاد العربية أو الإسلامية رغم الإغراء إلا لحج بيت الله الحرام عام ١٩٧٣م. وتفرّغ للتأليف حتى بلغت مؤلفاته ١١٥ مؤلفا، على مدى ١٢ عاما (أي في الفترة ما بين ١٩٨٢م وحتى صيف ١٩٩٤م)، منها كتاب عن قصص الأنبياء وآخر عن الفتاوى وقد أتم تفسير القرآن الكريم تحت عنوان: **في رحاب القرآن**، كما أن له حوالي ألفي شريط كاسيت هي جملة الخطب التي ألقاها على منبر مسجد عين الحياة، وقد رفع كثير منها على الانترنيت لتعم فائدته وهي متوافرة اليوم في المواقع الإسلامية. وكان للشيخ كشك بعض من آرائه الفكرية الإصلاحية للأزهر؛ إذ كان ينادي بأن يكون منصب شيخ الأزهر بالانتخابات لا بالتعيين وأن يعود الأزهر إلى ما كان عليه قبل قانون التطوير عام ١٩٦١م وأن تقتصر الدراسة فيه على الكليات الشرعية وهي أصول الدين واللغة العربية والدعوة، وكان الشيخ عبد الحميد يرى أن الوظيفة الأساسية للأزهر هي تخريج دعاة وخطباء للمساجد التي يزيد عددها في مصر على مائة ألف مسجد. ورفض كذلك أن تكون رسالة المسجد تعبدية فقط، وكان ينادي بأن تكون المساجد منارات للإشعاع فكريا واجتماعيا. وقيل أنه لقي ربه وهو ساجد قبيل صلاة الجمعة في ٦/ ١٢/ ١٩٩٦م وعمره حينذاك ثلاثة وستون(١٧).

موضوعات خطب الشيخ عبد الحميد كشك:

درس الشيخ وعالج موضوعات إسلامية فقهية عصرية كثيرة بغية تذليل المشاكل المعرفية والاجتماعية والسياسية المقلقة في عهده، ونوّر بيئته المصرية والعالم بمعلومات ثرية ودقيقة عن وجهات نظر الإسلام ومناظيره عن القضايا العصرية الشائكة المزعجة في المجتمعات المسلمة. ومن الموضوعات: "الرد على المستشار" (لقوله اليهود والنصارى سيدخلون الجنة)، "الحجاب"، "زواج الرسول صلى الله عليه وسلم"، "العدالة في الإسلام"، "سقوط الأندلس والتبشير بالنصرانية في مصر"، "الإيمان وإصلاح الفرد والمجتمع"، "شبهات حول الإسلام وردها"، "معركة القادسية"، "حقيقة الذكر"، "الرحمة المهداة والساعي على الأرملة والمسكين"، "الأمانة وبائعة اللبن"، "في محكمة القرآن" و "الإسراء والمعراج"، وغيرها من الموضوعات الإسلامية المفيدة.

١٦- المرجع نفسه.

١٧- المرجع نفسه.

ظروف الخطاب الزمانية والمكانيه:

يعد الزمان والمكان من القيودات الدلالية ويقدر غاية التقدير في تحليل الخطاب والنصوص، وذلك أن الزمان والمكان يشكلان السياق الذي أُلقي فيه الخطاب، ويعتبران الأساس أو المرجع الذي تعتمد عليه حقيقة فهم الخطاب، لأن الاتصال اللغوي لا يتضمن الكلمات فقط بل الصلات والظروف المحيطة، والحقائق السابقة والأشخاص الذين نتحدث معهم(١٨). وقد انقسم السياق إلى اثنين: السياق الخارجي والداخلي. يشمل السياق الخارجي العصر (أو الزمان) والمكان اللذين قيل فيهما الخطاب. والسياق الداخلي (عناصر مثل الضمائر والتكرار وغيرها من الإحالات أو الوسائل الأخرى) يقدم تفسيرا ساحراً لنص الخطاب.

وبالنسبة لمكان خطاب الشيخ، لاحظنا في سيرته أنه قلما يغادر مصر لمكان آخر، والأشهر من رحلاته هي التي قام بها إلى مكة المكرمة حاجًّا، ومن ثم يمكننا القول إن موقف الخطاب الدائم أو التقائه مع الجمهور مسجد عين الحياة بشارع مصر والسودان في منطقة دير الملاك، في جمهورية مصر العربية، حيث سُجِّل عنه حوالي ألفي شريط كاسيت من الخطب. ونستشفّ من سيرته أنه اصطدم بالسلطة المصرية عام ١٩٧٦م بعد معاهدة كامب ديفيد واتهم الحكومة بالخيانة للإسلام، الأمر الذي أدى به إلى السجن عام ١٩٨١م مع عدد من المعارضين السياسيين. ومن الممكن تحديد الزمان الذي ألقي فيه الخطاب المدروس بين ١٩٧٦م و ١٩٨١م.

موضوع الخطاب: "ماذا جنى المسلمون من العلمانية":

وهو من الموضوعات التي تناولها الشيخ في أشرطة كاسيت تم الحصول عليها عند الأصدقاء في ماليزيا، ويعتبر أيضاً من سلسلة الموضوعات التي ناقشها الشيخ في مسجد عين الحياة بمنطقة دير الملاك، تم اختيار هذا الموضوع لاختصاصه وتناوله القضية العلمانية التي هي قضية جامعة بين الدين والسياسة، وآثارها في الإسلام. ويمكن للقارئ تنزيل الملفّات الصوتية الحاوية لبعض خطبه عبر الشبكة العنكبوتية الخاصة للشيخ(١٩). ونلاحظ أن هناك علاقة متينة ووطيدة بين الموضوع ومضامين الخطاب بسبب تكرار

١٨- أحمد مختار عمر، **علم الدلالة**، عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ١٩٨٨م، ص ١٢٣-١٢٥.

١٩- ومن المواقع التي تسلط ضوءها على شخصية الشيخ عبد الحميد كشك وتعرض خطبه ومحاضراته وصوتياته الأخرى:
www.islamway.com/?iw_s=Scholar&iw_a=lessons، و www.l-islam.8m.com/imam/kishk.htm
وغيرها www.jannah.com/akishk/arabic/index.html.

لفظ "علمانية" ولفظ "المسلم أو المسلمون" الواردين في نص الخطاب، والإحالات إليهما عبر الخطاب. وكأن الخطاب كله إجابة عن الموضوع المطروح الذي صيغ بالعبارة الاستفهامية، ولا يتطرق المحلل إلى هذه الأجوبة إلا بتتبع جمل وفقرات الخطاب التي هي الوسائل والعناصر المكونة له، والتي تحققت بها وحدة الخطاب وعضويته.

المقصد من الخطاب:

يلمح موضوع الخطاب إلى الغرض من إلقاء الشيخ الخطاب ويقدم مضمونه جوابات للسؤال المطروح. صدّر الشيخ الخطاب بذكر العبارة السياسية الحربية الشائعة: طابور خامس(Fifth Column)[٢٠] وهي من مظاهر التناص (Intertextuality)[٢١] حيث استثار به خلفية المتلقي المعرفية عن الجاسوس الحربي المرتزق وما يروّجه من الإشاعات المضرة لبلده لقاء ربح مرجو من بلاد العدو، لاحظ وجود هؤلاء الجواسيس داخل البلدان العربية وبذلك أشار إليهم بها. ثم قام ببيان مفهوم العلمانية وتوضيحه، وما جناه المسلمون من الاندفاع إلى تبنّي تلك الظاهرة الكريهة (العلمانية). وصرّح فيه أن الثمار الذي يجنيه المسلمون هو سقوط الخلافة.

دار الخطاب حول حيل وإستراتيجيات الغربيين المبيتة وهجومهم الشرس على الدين الإسلامي المتجلي في الدروس المصنوعة من قبل واشنطن ولندن وباريس وموسكو، وما تنشأ عنها من اعتقادات غير إسلامية مثل الإلحاد، والشيوعية، والوجودية، والبهائية، والماسونية، والقاديانية، والرأسمالية. وقد استخدموها أدوات لتفريغ عقول المسلمين قادة وشعبا وتفريقهم شذر مذر.

ويحكي لنا الشيخ بشكل استطرادي الأحداث المدوية التي مرت بها مصر من الفتنة الطائفية، واحتضانها العلمانية، وأظهر استقباحه لكلمة "العلمانية" ووصفه لها بكلمة قذرة، وأعلم جمهور الحاضرين أن الناشر الأول لها (العلمانية) هو مصطفى كمال أتاترك وأنه هو السبب الوحيد

٢٠- وهي عبارة سياسية ودبلوماسية تطلق على الجواسيس وأعمالهم الحربية عام ١٩٣٦م، وأول من أطلق هذا التعبير هو الجنرال كويبو كيللانو أحد قادة القوات الوطنية الزاحفة على مدريد وكانت تتكون من أربعة طوابير من الثوار وقال: إن هناك طابورا خامسا يعمل مع الوطنيين لجيش الجنرال فرانكو ضد الحكومة الجمهورية التي كانت ذات ميول ماركسية يسارية من داخل مدريد ويقصد به مؤيدي فرانكو من الشعب.

٢١- وهذا مصطلح جديد في النقد الأدبي المعاصر، ويدل على تداخل النصوص في التراث العربي الأدبي، ويفسر باكتشاف مظاهر النصوص المعهودة في نص بين يدي القارئ أو المتلقي.

لإسقاط الخلافة الإسلامية، وذكر من أخلاقه الشنيعة الذميمة وأفاعيله القبيحة الكريهة من رفضه كتابة المراسم الحكومية القانونية باللغة العربية واستبدالها بالحروف اللاتينية في الكتب الرسمية وإصداره الأمر بهدم المسجد وتسوية مئذنته بالأرض وهو سكير. وأضاف في وصفه للعلمانية أنها دعوة خطيرة يبغي بها أهلها فصل الدين عن الدولة، وأن يكون الدين في المساجد مقتصراً على أركانه الخمس.

أسند الشيخ سقوط الخلافة في مارس ألف تسعمائة أربعة وعشرين (١٩٢٤م) إلى مصطفى كمال بمساعدة مخطط صهيوني عالمي، وهذا بالنسبة إليه حقيقة تاريخية، ذكر مؤتمرا عقد في مدينة بال بسويسرا ١٨٩٧م، تحت رئاسة ثيودور هرتسل الذي طالب في الجلسة بإقامة دولة إسرائيلية خلال خمسين سنة، واشترط لذلك إنجاز ثلاث خطط: إسقاط خلافة الإسلام، عزل الإسلام عن المعركة في فلسطين، وإبعاد الفلسطينيين عن القتال في فلسطين دفاعا عن أرضهم. وذكر الدور المنقطع النظير الذي قام به حسن البنا بعد سقوط الخلافة في الدعوة إلى توحيد الله على مرأى ومسمع من جيوش الإمبراطورية البريطانية. ونبّه جمهور المخاطبين إلى النصر الذي تم تحقيقه على يد صلاح الدين الأيوبي في إنقاذه المسجد الأقصى وإشارته إلى نجاح المسلمين حينما رآهم في حالة يذكرون فيها الله والإشارة إلى هزائمهم عندما رآهم نائمين.

وأسمعهم قول الرسول صلى الله عليه وسلم الذي بشّر به المسلمين في تغلبهم على اليهود، ودور حسن البنا الجهادي الفكري ومثالية صلاح الدين الأيوبي ودوره الجهادي والسلاحي، وختم بذكر الحرب التي خاضها المسلمون مع اليهود، وإبعاد اليهود الفلسطينيين عن القتال تنفيذاً لخطط ثيودور المرسومة، والغدر الذي أظهره معاونو إسرائيل من أمثال روسيا وأمريكا وأشار إلى أنهما عدوان لدودان ولكنهما حبيبان وشقيقان إذا كان العدو هو محمد صلى الله عليه وسلم.

المستويات اللغوية (الصوتية والدلالية والتداولية):

ونظراً لفعالية الصوت وقوة إيقاعاته التأثيرية نصدّر تحليل خطاب الشيخ ببيان كيف تأثر خطابه بصوته؟ ومن المعروف صوتيا أن العوامل الصوتية تشارك في عملية الاتصال من خلال وظائفها الدلالية، حيث يؤدي اختلاف درجة الصوت إلى اختلاف الدلالة، ويستعين المتكلم ببعض الأدوات الصوتية لأداء أغراض دلالية وتداولية في عملية الأداء الاتصالي الفعلي. نلاحظ عند استماعنا لخطاب

الشيخ بعض هذه العناصر منها: النبر، والتنغيم[٢٢]، والمفصل، وطبقة الصوت[٢٣]، وصفته، وقوته، ومعدل الأداء الكلامي (أو سرعة الكلام). وكيف استخدمها الشيخ لتحقيق أغراض خطابية مهيجة.

نلاحظ أن للشيخ تنغيماً خاصاً وهو خاصية يتميز بها عن غيره من الخطباء، وكان يباشر بعض كلماته وتعابيره بصوت منخفض أو عادي، أو يكرر الكلمات ذاتها رافعا صوته تدريجيا إلى أعلى صوته محدثا إيقاعات مميزة ومؤثرة تأثيرا بالغا في جمهور المخاطبين، ولعله يريد بها استمالة المستمعين لخطابه والأخذ بمآخذ قلوبهم ومجامعها، يوضّح هذه العملية الصوتية كلامه: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي ﴾ لمن؟ لموسكو؟! للندن؟! لباريس ؟! لواشنطن؟! لمن ؟ ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ لا شريك له وحّد من لا يغفل ولا ينام (صراخ من الجمهور الحاضر). يتغير في هذا المقتبس تنغيم الشيخ (أي طبقات صوته) حيث بدأ كلامه مخفّضا صوته ويرفعه تدريجيا لتحقيق أغراضه الاتصالية مثل الاستفهام الإنكاري كما هو معروف لدى البلاغيين.

ونجده يتوقف أحيانا عن الكلام لحظة فيكرر العنصر المهم في الخطاب والذي مرجعيته (أو المحال إليها) خارج نص الخطاب ومتعلق بجنس المخاطب كما في: "الرسول قال صلوات الله عليه: "لا تقم الساعة حتى تقاتلوا اليهود فيختبئ اليهودي وراء الحجر فينادي الحجر قائلا يا مسلم إن ورائي يهوديا تعال فاقتله"، يا مسلم! يا مسلم! يا مسلم! يا مسلم! لم يقل الاشتراكية ولا الديمقراطية يا مسلم، يا مسلم، إن الله سيجعل من الأحجار ومن الأشجار مخابرات عسكرية تدلك على مكان اليهودي إذا اختبأ وراءها، الأحجار والأشجار ستتحوّل إلى مخابرات عسكرية بسبب ماذا؟ بسبب "لا إله إلا الله". قولوها عاليا...(هتاف جهوري من المخاطبين) "لا إله إلا الله". ينوّع الشيخ تنغيمه بتغيير نبرات صوته في

٢٢- التنغيمات أو التنويعات التنغيمية (Intonation tones) هي تتابعات مطّردة من مختلف أنواع الدرجات الصوتية على جملة كاملة أوأجزاء متتابعة ومتتالية، وهو وصف للجمل أو أجزاء الجمل، وليس للكلمات المختلفة المنعزلة. انظر: أحمد مختار عمر، **دراسة الصوت اللغوي**، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩١م، ص ٢٢٩. وانظر كذلك: عصام نور الدين، **علم وظائف الأصوات اللغوية، الفونولوجيا**، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٢م، ص ١١٩. يقول عصام نور الدين بأن التنغيم أو النغم (melody) مصطلحان مترادفان عند علماء الأصوات، ويطلقان على منحنى الجملة اللحني، أي على ارتفاع الصوت في السلسلة الكلامية.

٢٣- انظر: كمال إبراهيم بدري، **علم اللغة المبرمج، الأصوات والنظام الصوتي**، مطبقا على اللغة العربية، عمادة شؤون الكتاب، جامعة الملك سعود، الرياض، ص ١٢٣.

التلفظ بالعبارة "يا مسلم" انخفاضا وارتفاعا فيحدث إيقاعات جياشة تثير وتحرك جمهور المخاطبين إلى أن يهتفوا هتافا مبهرا مما يدل على تتبعهم لمساقة خطابه وتلذّذهم به.

عناصر الاتساق والانسجام في الخطاب:

أـ التكرار والإحالة:

وأول ما يصادفه متلقي خطاب الشيخ استعماله عنصري التكرار والإحالة اللذين لجأ إليهما في مقدمة الخطاب محل الدراسة لعبارة "طابور خامس" التي يكررها أربع مرات في تتاليات نص الخطاب، وقد يستبهمها المتلقي المتتبع للخطاب أول مصادفته إياها، وهذا التكرار في دراسات النص عبارة عن محاولة تحقيق الاتساق، وجاء الشيخ في ثلاثة أرباع الخطاب بالعنصر الإحالي وهو الاسم "مصطفى كمال أتاترك" الوارد ذكره في الخطاب إحالة معجمية إلى عبارة "طابور خامس" مما يساهم في اتساق نص الخطاب وتماسكه الدلالي.

تتجسّد عناصر الاتساق في تكرار حرف الجار "إلى" في التعبير: "يدعو إلى الإلحاد مرة وإلى الوجودية مرة، وإلى البهائية مرة وإلى الماسونية وإلى القاديانية مرة، وإلى الشيوعية مرة وإلى الرأسمالية مرة"، وكانت مواضع الحذف واضحة للمتلقي في هذا التكرار حيث الفعل المضارع المفرد المحذوف "يدعو" في العبارات المتتابعة، وهذا الحذف من العناصر التي يتحقق بها الهدف الاتصالي المقصود.

ومن عناصر الاتساق والانسجام تكرار عبارة: "بلغ من جرأة أحدهم أن...."، ويدرك متلقي الخطاب ـ بخلفية معرفية عن العالم ـ العلاقات المفهومية الجارية بين عناصر الخطاب، ويستطيع استكشاف مرجعية العبارة "أحدهم" والمقصود من التأكيد النابع من التكرار. ومنها عنصر الإشارة الإحالي الذي لجأ إليه الشيخ في فقرة من فقرات النص بالعبارة: "نشر هذا الرسام" حيث يحيل "هذا" إلى العبارة الواردة في الفقرات الأُوَل: "نشر الرسام الأصلي" وتسمى هذه الإحالة عند النصيين بإحالة إشارية قبلية.

وفي تتبعنا وتأملنا للخطاب عثرنا على جملة من الجمل المكونة للخطاب "ويحكمونهم" وهي نوع من الإحالة يحيل الشيخ بها إلى مرجعية خارج الخطاب، جاءت في صيغة المضارع مما يجعلنا نتصور الشيء أو الشخص الذي يحال إليه هذه الجملة، والتأويل القريب للحقيقة هو القول إنها يحال بها إلى حكام العرب في العصر الذي قيل فيه الخطاب.

وتلمس ظاهرة الحذف في كثير من أجزاء الخطاب وعلى سبيل المثال تعريف الشيخ للعلمانية في التركيب: "العلمانية أن يفصل الدين عن الدولة، أن يكون الدين بعيدا عن الحكم، أن يظل الدين في المساجد صلاة وتسبيحا، أن يظل الدين في رمضان صياما، أن يظل الدين في الحجاج حجا". وهنا يتبين للمتلقي

حذف اللفظ "العلمانية" وتكرار أخبارها التي تصدرها المصادر المؤوّلة، والالتجاء إلى عنصر الحذف هنا مقصود، وهو لإدخال المتلقي في الخطاب حتى يتمكن من إعمال مخه وكدّ ذهنه لكشف المحذوفات.

ونلاحظ كيف حوّل الشيخ الجمل المفسرة للعلمانية إلى جمل سلبية بإلحاقه حرف النفي "لا"، مما يوحي بتقدير الجمل الأخرى: "أما أن يجلد الزاني لا! أما أن يصلب شارب الخمر لا، أما أن تقام الحدود لا، أما أن يحارب الربا لا، السرقة لا".

وتكررت عبارة "سقطت الخلافة" وعبارات ضميمة وشبيهة لها مثل "بمصطفى أتاترك الذي أسقط الخلافة" و"أسقط الخلافة" و"لم يسقطها من تلقاء نفسه"، "سقطت الخلافة"، "سقطت الخلافة ألف تسعمائة أربعة وعشرين"، "ظنوا أن بعد سقوط الخلافة"، "سقطت الخلافة ودخل المسلمون..." وقُبيل اختتامه الخطاب أعاد عبارته "سقطت الخلافة وعزل الإسلام عن المعركة". ويدل تكرار هذه العبارة على أهميتها وأنها نقطة محورية مهمة وخصوصا عبارة "سقطت الخلافة" التي هي ـ كما يبدو ـ إجابة عن السؤال المطروح المتمثل في الموضوع "ماذا جنى المسلمون من العلمانية"، وكأن الشيخ يخبر به المخاطبين أن ما جناه المسلمون من العلمانية هو سقوط الخلافة.

الضمائر:

ومما لا بد من ذكره في هذا المقال من العناصر أو الوسائل التي أسهمت في تحقيق التماسك والاتساق والانسجام هو الضمائر وهي متناثرة في جميع أجزاء الخطاب، فدورها لا يمكن تجاهله ولا التغاضي عنه. ومن مظاهر الضمائر ما يلاحظ في التركيب: "كان مصطفى كمال أتا ترك سكران ذات يوم وشرب حتى ثمل، وغاب عقله وطوحت ببنت بالغ فكره، وإذا به عند الفجر يسمع المؤذن يقول: "الصلاة خير من النوم" أفاق ثم قال ماذا الصوت المنكر، قالوا له صوت المؤذن لصلاة الفجر"، ومنها التركيب: "وظنوا أن الإسلام قد دفن ووري عليه التراب، وأن أحدا لن يسمع كلمة "لا إله إلا الله" بعد اليوم، بل الاستعمار البريطاني جاسم على أرض مصر، ومصر كانت ومازالت وستظل ـ بإذن الله ـ رافعة لواء ربها، موحدة إلهها، مكرمة لإسلامها مهما كن لها الجاهلون، ظن الغرب والشرق، الغرب الرأسمالي والشرق الملحد، ظنوا أن بعد سقوط الخلافة لن يسمع صوت: "لا إله إلا الله..."، حيث يعود الضمير المستتر "هم" في الفعل "ظنوا" عودة بعدية إلى "الغرب الرأسمالي والشرق الملحد" المذكورين لاحقا في تتاليات نص الخطاب.

ومن مظاهر توظيف الضمائر لتحقيق وظيفة تداولية ومقامية استعمال الشيخ ضميري "هم" و"نحن" في التركيب: "بلغ من جرأة أحدهم أنه قال ذات يوم: الله أكذوبة والدين خرافة وسأعلم ابني

كيف يكون ماجنا وسأعلم ابنتي تكون حافرة، طابور! يدعو إلى الإلحاد مرة وإلى الوجودية مرة، وإلى البهائية مرة وإلى الماسونية وإلى القاديانية مرة، وإلى الشيوعية مرة وإلى الرأسمالية مرة. أما نحن فلا نعرف إلا قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي ﴾ لمن؟ لموسكو؟! للندن؟! لباريس؟! لواشنطن؟ لمن؟ ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ وحّد من لا يغفل ولا ينام (صراخ)"، حيث يشير ضمير "هم" إشارة بعدية (Cataphoric reference) إلى ما يلمح إليه بعناصر في التركيب التالي وهي موسكو ولندن وبارس وواشنطون أي المنظرون والمفكرون السياسيون المواطنون في هذه البلدان الأربع، بينما يحيل الضمير "نحن" إلى العرب والمجتمع الإسلامي العالمي. وهذا يشابه ما نلمسه اليوم من الخطابات التي تقسم العالم إلى الاثنين: هم و نحن، تقسيما أيديولوجيا فكريا، وهذا يمثّل الخطاب السائد عالميا عن الانقسام الحضاري والثقافي بين الغرب والشرق.

المؤثرات الخطابية:

من المؤثرات الخطابية التي لاحظناها في هذا الخطاب سوق الشيخ واستشهاده بحديث الرسول الشريف الذي يبشر متنه المسلمين بالتغلب على اليهود، وكان عنصر التأثير فيه تكرار عبارة النداء "يا مسلم" الواردة في صلب الحديث: "الرسول قال صلوات الله عليه: "لا تقم الساعة حتى تقاتلوا اليهود فيختبئ اليهودي وراء الحجر فينادي الحجر قائلا يا مسلم إن ورائي يهوديا تعال فاقتله"، يا مسلم! يا مسلم! يا مسلم! يا مسلم! لم يقل الاشتراك ولا دمقراط يا مسلم! يا مسلم! إن الله سيجعل من الأحجار ومن الأشجار مخابرات عسكرية تدلك على مكان اليهودي إذا اختبأ وراءها، الأحجار والأشجار ستتحول إلى مخابرات عسكرية بسبب ماذا؟ بسبب لا إله إلا الله. قولوها عاليا... (هتافات من المخاطبين) "لا إله إلا الله". وتجدر الإشارة إلى تكرار "الأحجار والأشجار" وتشبيه الأشجار "بمخابرات عسكرية"، فإنه يشكل عنصرا مهما من عناصر التأثير والاستمالة في الخطاب، وكذلك ترغيب الشيخ أو دعوته للجمهور لرفع الصوت في كلمة الشهادة بالعبارة "قولوها عاليا"، فكان رد الجمهور بقول كلمة الشهادة وتدوية الموضع بأصواتهم دليلا واضحا على مدى تجاوبهم مع إدارة الشيخ لمواقفه وتأثرهم بأسلوب خطابه المؤثر والفعال.

خصائص الأسلوب:

ومن خصائص أسلوب الشيخ استئنافه الخطاب في أغلب الأحايين بعبارة النداء الموجهة لجمهور المخاطبين: "أيها السادة الأعزاء". ونلاحظ أنه يهتم بمراعاة القواعد النحوية، وكان يظهر

الحركات الإعرابية في آخر كل كلمة وردت في الجمل المكونة للخطاب. ونراه يلتزم دائما باستعمال اللغة العربية الفصحى في الخطاب، ولا يخلطها بالعامية خلافا لما عرف عن بعض الخطباء المصريين.

ونجد أن الشيخ كان ابن العصر وابن جلا، وكان ملما بالمستجدات في عصره من أمور سياسية (داخلية وخارجية) واجتماعية واقتصادية وفلسفية وعلمية. ومن دلائل هذه المهارة إشارته في الخطاب إلى القضية السياسية العالمية المتداولة وهي قضية فلسطين. ويتضح مدى تتبعه وتفهّمه وتعمّقه لدقائق المعلومات التي خفيت على كثير من جمهور المخاطبين، ومن مظاهر موسوعيته التعبير: "هذا الذي سمى نفسه مصطفى كمالا، أسقط الخلافة في مارس ألف تسعمائة أربعة وعشرين ولم يسقطها من تلقاء نفسه إنما كان هذا بمخطط صهيوني عالمي، اسمعوا حقيقة تاريخكم، الصهاينة عقدوا مؤتمرا في مدينة بال بالسويسرا سنة ألف ثمانمائة سبعة وتسعين، كان هذا المؤتمر برئاسة رجل يهودي اسمه ثيودور خرسيل سنة ألف ثمانمائة سبعة وتسعين، قال هذا الرجل آتوني خمسين سنة فقط أقم لكم دولة لليهود على أرض فلسطين، ألف ثمانمائة سبعة وتسعين، وقامت إسرائيل سنة ألف تسعمائة ثلاثة وأربعين، بعد خمسين عاما، بعد خمسين عاما". وعلاوة على هذا إحالته إلى النظريات السياسية السائدة في العالم مثل الاشتراكية، والشيوعية، والوجودية، والبهائية، والماسونية، والرأسمالية، والصهيونية، وغيرها من المفاهيم اللافتة مما يدل على كونه شخصية علمية ودولية.

ومن مميزات أسلوبه الاستطراد، وهو بالنسبة إليه أسلوب إيجابي لأنه يقرب به جمهور المخاطبين من بعض المعطيات المبعثرة التي تساعدهم على تأويل وإدراك العلاقات بين الموضوع والأحداث التاريخية السابقة التي يسوقها الشيخ استدلالا بها وتأييدا لمواقفه، حتى يزداد المخاطبون فهما واطلاعا وإحاطة بالموضوع والقضايا ذات العلاقة بأحوالهم السياسية والاجتماعية والحضارية والثقافية، واستطرد الشيخ في الخطاب لسرد حكاية يسيرة عن حسن البنا وأدواره الجهادية والفكرية، ونشاطات صلاح الدين الأيوبي الفروسية وغيرهما.

ومن أهم ما يختص به خطابه هو إكثاره الاستشهاد بمواقف السيرة النبوية ومقتضبات مفيدة منها، وكثرة الاقتباسات من الآيات القرآنية، وهذه من الأمور المسلّم بها حيث إنه من حفاظ كتاب الله. ومن الاقتباسات الواردة في الخطاب: "ولكن الله من فوق سبع طباق كان يقول: ﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾، ﴿ وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ ﴾، ﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾. ويجذبنا أسلوب الاقتباس الذي عمد

إليه الشيخ حيث يلمح إلى الآية القرآنية رقم ٤٧ في سورة إبراهيم.

ومما لا ينكره أحد التجاؤه إلى الأسلوب البلاغي الموسوم بالاستفهام الإنكاري حيث يتقدم بسؤال يطرحه لمخاطبيه وكأنه يطالبهم بالإجابة أو بتحقيق ما شاركوه من القطعيات الدينية العقدية أوالهتافات الدينية السائدة، ومن مظاهره في الخطاب استخدامه العبارة (أتدرون ما...) في: "العلمانية دعوة خطيرة، أتدرون ما معنى، العلمانية أن يفصل الدين عن الدولة"، "فما هو بالصلاح، أين الصلاح، أين الصلاح؟"، "أيها الموحّدون من الذي بعث محمداً بالحق"، "وينادي على المسلمين أيها المسلمون، الطريق هاهنا، يشير إلى المصحف، أتدرون من هذا الرجل، إنه حسن البنا". ويبدو من المقتبس أنه عرف قيمة الأسلوب البلاغي التأثيرية وقدرته على استثارة المستمعين بغية جرّهم إلى الغاية المنشودة وهي الفهم والإفهام، وإراحتهم من الملل والتعب أثناء الإلقاء. و يشير أيضاً إلى تصويره البلاغي استخدامه عنصر البلاغة "تشبيه بليغ" وهذا ملحوظ في التركيب: "وتبقى السماء هي السماء ضاحكة السن بسامة المحيا"، وهنا شخص الشيخ السماء ويصورها أو يتصورها كإنسان ضاحك صبيح مبتسم، فيدل التركيب على أن السماء كانت واضحة مشرقة وهي في حالتها الجميلة.

الخاتمة:

لقد تناول المقال خطاب الشيخ كشك الدعوي الجمهوري الذي عنوانه "ماذا جنى المسلمون من العلمانية" في ضوء علم تحليل الخطاب النقدي، وبيّن خلال مباحثه مفهوم الخطاب والنص وخصائص الخطاب المنطوق وعناصر تحليل الخطاب النقدي لتنحية بعض الملابسات حول المفهومين. وقدم المقال نبذة يسيرة عن سيرة الشيخ عبد الحميد كشك الذي هو المنتج للخطاب المدروس، وذكر موضوعات أخرى تناولها الشيخ، وأعقبه بتلخيص مفيد عن مضامين الخطاب ومقاصده. وبصّر بظروف الخطاب الزمانية والمكانية، وتطرق إلى بيان موضوع الخطاب والقصد منه.

يدرس المقال الخطاب درسا تحليليا نقديا ببيان المستويات اللغوية الملحوظة فيه، وعناصر الاتساق والانسجام المتمثلين في التكرار والإحالة، والضمائر، إظهار المؤثرات الخطابية الاتصالية الواردة في خطاب الشيخ وخصائصه الأسلوبية مثل الحذف والضمائر، والاستطراد والأسلوب البلاغي الموسوم بالاستفهام الإنكاري والتشبيه البليغ وكثرة الاقتباسات والتلميحات إلى آيات وحكايات من القرآن والحديث النبوي.

يخلص المقال إلى أن الشيخ عبد الحميد كشك من الخطباء الإسلاميين المفوّهين الذين ذاع صيتهم في المجتمع الإسلامي العالمي، وكان أسلوبه في إلقاء الخطاب منقطع النظير لتوظيفه النوعي

للأدوات الصوتية من تنغيم ووقفات، وطبقة الصوت، وإيقاعات، فأصبح جمهور المخاطبين ـ نتيجة لهذا التوصيف ـ مبهورين ومنجذبين لخطبه داخل مصر وخارجها، ويمثل هذا التأثر والتعلق بأسلوب الشيخ اندفاع جمهور المسلمين إلى تسجيل أشرطة كثيرة وحفظ خطبه اليوميةعلى الأقراص المضغوطة ليتمكّنوا من الاستماع الدائم إليه في ديارهم المختلفة، وما زالوا عليه حتى اليوم.

الملحق: نص الخطاب:

أيها السادة الأعزاء!

هناك طابور خامس لا وظيفة له ولا رسالة له إلا الهجوم على دين الله، طابور خامس، صنعة الدروس في واشنطن ولندن وفي باريس وفي موسكو عاصمة الإلحاد، طابور خامس، بلغ من جرأة أحدهم أنه قال ذات يوم: الله أكذوبة والدين خرافة، وسأعلم ابني كيف يكون ماجنا؟ وسأعلم ابنتي كيف تكون حافرة؟ طابور! يدعو إلى الإلحاد مرة، وإلى الوجودية مرة، وإلى البهائية مرة، وإلى الماسونية وإلى القاديانية مرة، وإلى الشيوعية مرة، وإلى الرأسمالية مرة. أما نحن فلا نعرف إلا قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي ﴾ لمن؟ لموسكو؟! للندن؟! لباريس ؟! لواشنطن؟! لمن؟ ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ وحّد من لا يغفل ولا ينام (صراخ).

بلغ من جرأة أحدهم أنه نشر في جريدة الأهرام في العشرين من يوليو ألف تسعمائة وواحد وثمانين وعقيب الأحداث الداوية الغبراء، عقيب الأحداث الداوية السوداء الحمراء التي سالت على أرضها دماغ الشهداء، ونشر رسام أصلي صلاح جهيل، أستغفر الله !، فما هو بالصلاح، أين الصلاح، أين الصلاح ..؟ ولكنها أسماء مملكة في غير موضعها كالبر يحكي انتفاخ صولة الأسد، استأسد الحمل لما استنوق الجمل، استأسد الحمل واستنسر البغاث لما استنوق الجمل لما صار الجمل ناقة صار الحمل أسدا.

نشر هذا الرسام صورة مصر، وأمامها بعض الأجناب، الوئام، الوفاق، الفتنة الطائفية ومصر تشير إلى ما يسمى بالعلمانية وتحتضن، فما هي العلمانية، كلمة قذرة استهدفت في العصور الحديثة وأول من نشرها وعمل على نشرها عدو الله، عدو الله ورسوله، الذئب الأغبر المسمى بمصطفى كمال أتاترك الذي أسقط الخلافة الإسلامية وأعلن الحرب على الإسلام حتى أنه رفض أن تكتب اللغة العربية في المراسم وفي الكتب الرسمية واستبدل بها الخرافة اللاتينية، وعمل على إطفاء نور الله في بيوت الله فمنع الأذان باللغة العربية، وجعله باللغة التركية وحارب كل من يدعو إلى الله حتى أنه ذات يوم كان سكران ... اسمعوا إلى أحوال الذين حكموا المسلمين ويحكمونهم، كان مصطفى كمال أتاترك سكران ذات يوم وشرب حتى

ثمل، وغاب عقله وطوحت ببنت بالغ فكره، وإذا به عند الفجر يسمع المؤذن يقول" الصلاة خير من النوم" أفاق ثم قال: ماذا الصوت المنكر؟ قالوا له: صوت المؤذن لصلاة الفجر. أتدرون ماذا فعل السكير العربيد الماجن الخليع؟ أتدرون ماذا فعل؟ أصدر أمره بأن يهدم هذا المسجد وتسوى مئذنته بالأرض.

الإسلام، الإسلام، يحارب منذ الزمن القديم، العلمانية دعوة خطيرة، أتدرون ما معنى؟ العلمانية أن يفصل الدين عن الدولة، أن يكون الدين بعيدا عن الحكم، أن يظل الدين في المساجد صلاة وتسبيحا، أن يظل الدين في رمضان صياما، أن يظل الدين في الحجاج حجا، أما أن يجلد الزاني لا! أما أن يُصلب شارب الخمر لا، أما أن تقام الحدود لا، أما أن يحارب الربا لا، السرقة لا، هذه هي العلمانية، والله ما هي بالعلمانية إنما هي الجاهلية الأشد من جاهلية القرون الأولى، أيها الموحدون من الذي بعث محمداً بالحق؟ (صراخ) الله!

دعوة خطيرة، هذا الذي سمى نفسه مصطفى كمالا، أسقط الخلافة في مارس ألف تسعمائة أربعة وعشرين ولم يسقطها من تلقاء نفسه إنما كان هذا بمخطط صهيوني عالمي، اسمعوا حقيقة تاريخكم، الصهاينة عقدوا مؤتمرا في مدينة بال بالسويسرا سنة ألف ثمانمائة سبعة وتسعين، كان هذا المؤتمر برئاسة رجل يهودي اسمه ثيودور خرسيل سنة ألف ثمانمائة سبعة وتسعين، قال هذا الرجل آتوني خمسين سنة فقط أقم لكم دولة لليهود على أرض فلسطين، ألف ثمانمائة سبعة وتسعين، وقامت إسرائيل سنة ألف تسعمائة ثلاث وأربعين، بعد خمسين عاما، بعد خمسين عاما. ولكن قبل قيامها قال ثيودور خرسيل لا بد من إنجاز ثلاث خطط، لا بد من إنجاز ثلاث خطط: الخطة الأولى: إسقاط خلافة الإسلام ببطء، الخطة الثانية: عزل الإسلام عن المعركة في فلسطين، الخطة الثالثة: إبعاد الفلسطينيين عن القتال في فلسطين دفاعا عن أرضه. ونفذت الخطط الثلاث بإتقان على أيدي أعداء الله، سقطت الخلافة على يدي مصطفى كمال وجاء دور الإسلام، سقطت الخلافة ألف تسعمائة أربعة وعشرين ميلادية، ولكن الله من فوق سبع طباق كان يقول: ﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾، ﴿ وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ ﴾، ﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾.

سقطت الخلافة ألف تسعمائة أربعة وعشرين، وظنوا أن الإسلام قد دفن ووري عليه التراب، وأن أحدا لن يسمع كلمة "لا إله إلا الله" بعد اليوم، بل الاستعمار البريطاني جاسم على أرض مصر، ومصر كانت ومازالت وستظل ـ بإذن الله ـ رافعة لواء ربها، موحدة إلهها، مكرمة لإسلامها مهما كنّ لها الجاهلون، ظن الغرب والشرق، الغرب الرأسمالي والشرق الملحد، ظنوا أن بعد سقوط الخلافة لن يسمع صوت " لا إله إلا الله".

وفوجئوا في سنة ألف وتسعمائة ثمان وعشرين، أي بعد سقوط الخلافة بأربع سنين، فوجئوا برجل عادي مدرس، مدرس في المدرسة الإسلامية يقف في أخطر الميادين بمدينة الإسماعيلية ويرفع المصحف بيده اليمنى وينادي على المسلمين أيها المسلمون! الطريق هاهنا، يشير إلى المصحف، أتدرون من هذا الرجل؟ إنه حسن البنا، رجل عادي، لا يملك قنبلة ولا مدفعا، ولا مسدّسا بعد أن ظن الأعداء أن الإسلام قد مات وهزل وقفل وصلي عليه ودفن، بعد أربع سنين كانت المقادير تربي موسى ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾، وقف هذا الرجل وحده يوحد الله وحده، في ميدان الإسماعيلية، وعلى مرأى ومسمع من جيوش بريطانيا الإمبراطورية التي كانت الشمس لا تغيب عن مستعمراتها، وقف البنّا يصيح أيها المسلمون! الطريق ها هنا، وأراد ربه أن تسري الدعوة في قلوب الشباب كما تسري الكهرباء في أسلاك البلاسيل، وجاء اليوم الذي كان الشباب يخوض معسكرات بريطانية هاتفا بكلمة واحدة ، لم تكن حسن البنا ولا نحن وراءك يا بنا، ولا بالروح والدم نفديك يا بنا! إنما يحدث بهتاف واحد "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، إن دعوة الله لن تموت أبداً، إن الله ناصر دينه، ناصر نبيه، ناصر دعوته، نقول لدعاة العلمانية: الإسلام دين ودولة، الإسلام مسجد وحكم، الإسلام سيف ومصحف، الإسلام قيادة وعبادة، الإسلام سلام ووئام، الإسلام قوة وعزة، الإسلام حق لأن الذي أرسله هو الله الحق، فليسترح الجاهلون، ليسترح، ولتسترح صفوفنا من الحرب ضد الإسلام وليسترح الإعلام كله، ولو تحول الناس جميعا إلى كم نسينا ليثير التراب على السماء، فسوف يثيرون التراب على أنفسهم، وتبقى السماء هي السماء ضاحكة السن بسامة المحيا.

أين نحن من صلاح الدين، صلاح الدين بعدما احتل الصليبيون المسجد الأقصى بإحدى وتسعين، إذا بالأقدار تربي صلاح الدين لينقذ بيت الله، لينقذ المسجد الأقصى، وكان صلاح الدين يمر بالمعسكرات ليلا فإذا رأى جنودا في معسكر ليلا يذكرون الله ويصلون أشار إليهم قائلا : من هنا سيأتي الله بالنصر. من هنا سيأتي الله بالنصر.

فإذا مر بمعسكر ويجد الجنود نائمين بكى وقال: من هنا تأتي الهزائم. النصر يأتي بذكر الله والصلح مع الله وبالصلح مع الله، أتوقعون صلحا مع اليهود وتعلنون الحرب على الواحد المعبود، أتوقعون الصلح مع إسرائيل وتعلنون الحرب على العزيز الجليل، الصلح مع الله، الصلح مع الله. وشروط الصلح مع الله أربعة، ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾، إن الذين يحاربون الإسلام بالقلم أو باللسان أو بالريشة أو بالمسرح أو التلفزيون أو بالصحف، أو بغير ذلك، عليهم أن يعلموا أنهم لا يحاربون الإسلام إنما يحاربون

الواحد الديان. ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

سقطت الخلافة ودخل المسلمون حرب فلسطين أيام مكرس فصدرت الأوامر من عواصم الدول الكبرى باعتقال المسلمين الموحدين المجاهدين في فلسطين، ورجع المجاهدون من أرض فلسطين لا ليقام لهم حفل تكريم، إنما ليدخلوا الزنازين ويعذبوا في السجون ونفذ ما قاله ثيودور خرسيل عن عجز الإسلام عن المعركة، عزل الإسلام في حرب فلسطين. اليهود لا يخافون الدبابات ولا يخافون المدفعية الثقيلة ولا مدفعية الجو دفاع الجو، دفاع الجو، وحقول الألغام، لا الحربية ولا البحرية ولا الطيران، إنما يخافون شيئاً واحداً هو "الله أكبر، لا إله إلا الله" يخاف لها الله ويعملون لها ألف حساب ولذلك لو دخلتم فلسطين بإذن الله وكبرتم الله وسيجري اليهود أمامكم كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة، ولا بد أن يأتي هذا اليوم لأن الرسول بشرنا به، الرسول قال صلوات الله عليه: "لا تقم الساعة حتى تقاتلوا اليهود فيختبئ اليهودي وراء الحجر فينادي الحجر قائلا: يا مسلم! إن ورائي يهوديا تعال فاقتله"، يا مسلم! يا مسلم! يا مسلم! يا مسلم! لم يقل الاشتراك ولا دمقراط يا مسلم، يا مسلم، إن الله سيجعل من الأحجار ومن الأشجار مخابرات عسكرية تدلك على مكان اليهودي إذا اختبأ وراءها، الأحجار والأشجار ستتحول إلى مخابرات عسكرية بسبب ماذا، بسبب لا إله إلا الله. قولوها عاليا... (صراخ من المخاطبين) "لا إله إلا الله".

سقطت الخلافة وعزل الإسلام عن المعركة بعدما وصل المسلمون إلى مشارق تل أبيب وأبعد الفلسطينيون عن القتال دفاعا عن بلادهم، دفاعا عن بلادهم وكانت هدنة أعقبها غدر، أعقبها اعترافات من أمريكا، وبعد خمس دقائق اعترافات من روسيا ووضع الإلحاد يده في يدي الرأسمالية مع أنهما عدوان لدودان لكنهما حبيبان وشقيقان وصديقان إذا كان العدو هو محمد صلى الله عليه وسلم. اعلموا هذا جيدا، اعلموا جيدا وارفعوا راية الإسلام عاليا لا تتنازلوا عن حرف من "لا إله إلا الله"، لا تتنازلوا عن شبر من أرض محمد رسول الله، لا تتنازلوا عن قدم من أرض فلسطين المقدسة.

Abstract
Preaching Discourse of Shaykh ʻAbd al-Ḥamīd Kishk:
A Critical Study.

Text and Discourse have recently become vital aspects of linguistic phenomena examined by contemporary Textlinguists and Discourse Analysts given its titillating informative and communicative value. Pragmatic and functional linguistic elements are considered more pronounced in text and discourse than any other linguistic forms. This paper however seeks to critically study public propagative spoken discourse of Shaykh ʻAbd al-Ḥamīd Kishk titled: "**what did the Muslims gain from Secularism**" with an intent to reveal the discourse structural elements employed by the Shaykh aimed at achieving intended discourse purposes. The paper also essays to display Shaykh's discourse style and the manner in which he textualizes his viewpoints on issues affecting Islamic world. It attempts to highlight the basic structural elements of the discourse and its distinctive textual features, drawing insights from modern pragmatic, sociolinguistic, and critical discourse analytic (CDA) frameworks.

****